الرسالة

(٢ كور ٩: ٦-١١)

يا إخوةُ إنَّ مَن يزرعُ شحيحاً فشحيحاً أيضاً يحصُدُ ومَن يزرعُ بالبركاتِ فبالبركاتِ أيضاً يحصُد* كلُّ واحدٍ كما نوى في قلبه لا عن ابتئاسٍ أو اضطرار. فإنَّ اللهَ يُحبُّ المُعطي المتهلِّل* واللهُ قادِرٌ أن يزيدكم كلَّ نِعمةٍ حتى تكونَ لكم كلُّ كِفايةٍ كلَّ حينٍ في كُلِّ شيءٍ فتزدادوا في كلِّ عملٍ صالح* كما كُتب إنَّهُ بدَّدَ أعطى المساكينَ فبِرُّهُ يدومُ إلى الأبد* والذي يرزُقُ الزارعَ زرعاً وخُبزاً للقوتِ يرزُقُكم زرعَكم ويُكثّرهُ ويزيدُ غِلالَ بِرِّكم* فتستغنُونَ في كلِّ شيءٍ لكُلِّ سخاءٍ خالِصٍ يُنشِئُ شُكراً لله.

التربية الصالحة

تؤكد العديد من المعطيات السائدة في بيئاتنا الاجتماعية أننا نعيش في عصر لا يقيم وزنًا لفضائل مثل التيقظ الروحي والسهر على حفظ الحواس وصون النفس من الزلل. مجتمعاتنا لم تعد تتحسس الأبعاد الروحية لقيم كالجمال والطبيعة والفن والجسد... وقد يذهب المحلّلون الاجتماعيون الى أن الثقافات المعاصرة لم تترك مكانًا للإيمان في حياتنا. حضارة اليوم تدعو الإنسان وتمهّد له السبيل للاستغناء عمّا هو ديني وروحي، ليكتفي بالغايات الآنية لوجوده، فيرتاح إلى ما يحقّقه من إنجازات بشرية صغيرة كانت أم كبيرة. غير أن الحقيقة الأكثر صدقاً أن إنساننا المعاصر، إنما يتذرّع بالفلسفات الحديثة وسواها، ليبرّر إخفاقه في اكتناه الحقائق الروحية وعيشها. إننا عوضًا عن أن نواجه ذواتنا برصانة وصدق نميل إلى خلق الأعذار المبنية على الظروف والمعطيات الشديدة التعقيد، لنقول إن التعاليم الروحية للكنيسة أضحت بعيدةً عن الواقع لا صلة لها بالانسان المعاصر وتطلّعاته. بيد أن المحاسبة النزيهة للضمير تظهر غير هذا. ما ينكشف، حين نتحقق عن كثب من واقع المشكلة، أن الانسان اليوم هو بأمسّ الحاجة الى القيم المسيحية الروحية التي هي السبيل الأنجع بل الأوحد للإجابة عن تساؤلاته وإرواء عطشه.

العدد ٤١ / ٢٠١٧

الأحد ٨ تشرين الأول

تذكار البارّة بيلاجيا

اللحن الأول

إنجيل السَحَر السابع

هذا، ويعاني المراهقون والشباب في أيامنا من صعوبات وتعثّر حين يتعلّق الأمر بمواجهة التحديات الأخلاقيّة والنماذج السائدة في المجتمع. يستصعبون التمسك بالمفاهيم الروحية أو الإنسانية السامية التي يرثونها عن أهلهم في بيئات تقوم ديناميكيَّتها على الاستهلاك والتكنولوجيا الرقمية السريعة، ونسبية القيم وضبابية معالمها. يتجه العديد منهم إلى محاولة التحرر من المسلّمات الموروثة عن الأجيال السابقة، لكي يتماهوا مع النزعات السائدة في البيئات والمجتمعات الحديثة. يبدو لهم كلُّ جديد خيّرا من القديم الموروث، فيفقدون، في كثير من الأحيان، حس تمييز ما هو أصيل عما

هو زائف، وإمكانية اختيار ما يحيي الإنسان ويغذي قلبه وفكره لا ما يشبع العين والعاطفة السريعة.

السؤال الذي يستصعب بعضنا الإجابة عنه هو كيف ننشئ أبناءنا على تخطّي هذه التحديات بوضوح وثبات؟ كيف لنا أن نحصّنهم بحيث يقتنون مناعةً وصلابةً وشفافيةً في الرؤية أمام التيارات الجارفة التي تحيط بهم؟

هذه مسؤوليةٌ جسيمةٌ ملقاةٌ على عاتق الأهل وكلّ من له باع في التربية الدينية.

يعلّم الإنجيل: «هوذا الزارعُ قد خرج ليزرعَ، وفيما هو يزرعُ سقطَ بعضٌ على الطريقِ، فجاءتِ الطيورُ وأكلته. وسقط آخرُ على الأماكنِ المُحجرةِ، حيث لم تكن له تربةٌ كثيرةٌ، فنبتَ حالاً إذ لم يكن له عُمقُ أرض. ولكن لمَّا أشرقتِ الشمسُ احترقَ، وإذ لم يكن له أصلٌ جفَّ. وسقط آخرُ على الشَّوكِ، فطلعَ الشَّوكُ وخَنَقَهُ. وسقطَ آخرُ على الأرضِ الجيِّدةِ فأعطى ثمراً، بعضٌ مئةً وآخرُ ستينَ وآخرُ ثلاثينَ» (متى ١٣: ٣ – ٨).

الأرض المزروعة هي قلوب أبنائنا، ونحن مدعوون لأن نستصلحها لكي تأتي بالثمر المرجو، فنجعل منها حديقةَ أزهارٍ عطرةً أو بستان أشجار وارفةٍ مثمرة، لا حقلًا للشوك والعلّيق. علينا أن ندرّب حواس الأجيال الجديدة بحيث تتخذ عينًا نيّرةً ترى القصد الإلهي في كل شيء.

هذا ما تتطلّع إليه الكنيسة: تربية سويّة تنشئ الإنسان على المحبة والتضحية والنقاوة. تتطلّع إلى مقاربة تعليمية وفلسفة تربوية شمولية تمهد السبيل لصقل قناعة الإنسان بحاجته إلى الانفتاح على نعمة الروح القدس وعلى أخيه الإنسان وإلى تحقيق هويته وتجذّره في الإنجيل عبر لقاء الوجوه وانفتاح القلوب الذي يتحقق في القداس الإلهي والأسرار المقدسة.

يعلّم القديس بورفيريوس الرائي أن التربية الصالحة الفاعلة لا تأتي الثمر المرجو إلا حين تقوم على خبرة التوبة والصلاة، وبالتالي القدوة الصالحة. إن كنت تريد أن تنشئ أبناءك على البر والاستقامة ومحبة الله، لا بد لك أن تبدأ بنفسك، أي بتوبتك. لأنك إن تنقّيتَ بالتوبة والصلاة تنقل لمن حولك نعمة الله وعطاياه السماوية. فالتربية ليست وعظًا وتلقينًا بمقدار ما هي مثال روحي صالح، وحضور لنعمة الروح القدس في قلب المربّي. وقد يبقى هذا الروح صامتًا خفرًا لا يزعج ولا يصرخ ولا يوبّخ، لكنه في صمته ينير ويعزّي ويمنح الدفء الجذّاب والمؤثّر في النفوس. قوة الروح القدس حين تحضر في قلب المربي تمنحه القدرة على التأثير والتغيير. ساعتئذٍ ينحت في قلوب أبنائنا صلاحًا وأدبًا ومعرفةً وثباتًا في المحبّة وتعلّقًا حارًّا بشخص المسيح الذي يشدّ أولادنا إليه وينير قلوبهم ونفوسهم في كل حين.

أساس التربية الصالحة إذاً هو إيجاد بيئة كنسيّة، سليمة، منفتحة، مرتاحة مع نفسها، ومنسجمة مع قيمها المسيحية. الجو التربوي القائم على الشفافية الروحية هو الأساس لكل عمل تربوي مسيحي. وهذا يتأمن في المنزل والمدرسة والرعية من خلال خبرة الصلاة الحقيقية الخفرة لا الإكثار من الشعارات الدينية والضوضاء. أبناؤنا بحاجة إلى ماء حي لا إلى هتافات وضجيج.

طبعًا المناهج التربوية هي أيضًا في غاية الأهمية. تساعد على تأمين المناخ التربوي الإيجابي مع أطر

الإنجيل

(لوقا ٧: ١١–١٦)

في ذلك الزمان كان يسوعُ منطلقاً إلى مدينةٍ اسمُها ناين وكان كثيرون من تلاميذِه وجمعٌ غفيرٌ منطلقين معه* فلمَّا قرُبَ من بابِ المدينةِ إذا مَيِّتٌ محمولٌ وهو ابنٌ وحيدٌ لأُمِه وكانت أرملةً وكان معها جمعٌ كثيرٌ من المدينة* فلمَّا رآها الربُّ تحنَّنَ عليها وقالَ لها لا تبكي* ودنا ولمسَ النعشَ (فوقف الحاملون). فقال أيُّها الشابُّ لكَ أقولُ قُمْ* فاستوى الميِّتُ وبدأ يتكلَّمُ فسلَّمَهُ إلى أُمِّه* فأخذَ الجميعَ خوفٌ ومجَّدوا اللهَ قائلينَ لقد قام فينا نبيٌّ عظيمٌ وافتقَدَ اللهُ شعبهُ.

تأمل

«مَن يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد...».

ماذا سنعمل يا إخوتي، هل سنتخلّى عن الخير ونترك المحبة؟ فليحفظنا

الـلـه إلـى الأبد مـن هـذه النكبة. بل فلنسرع إلى كل عـمـل صـالـح بـكل غـيـرة وحـمـاسـة. لأن الـلـه نفسه، سيّد الكون، سُرّ بـأعماله. بـقدرتـه الـمـطـلـقـة وطّد السموات وبـحـكـمـتـه غير المدرَكة زيّنها. وفصل بين اليبس والمياه المحيطة به، وبـنـى الأرض عـلـى أساس إرادتـه الـذي لا يـتـزعـزع، الـحـيـوانـات الـتـي تسكنها بـأمره وُجدت، صنع البحر والـكـائـنـات الـحية فيه، ثم وضـع لـهـا حدوداً بـقدرتـه وأخيراً قام بـأعظم عمل من الأعـمـال الـجديرة به، لأنه عمل تتجلّى فيه قدرتُه، أي صـنـع الإنســان بـيديـه المقدّستين الطاهرتين على صورته. وهذا في الواقع ما يـقـولـه الـرب: «لـنـصـنـع الإنـسـان عـلـى صـورتـنـا كمثالنا.

لنلاحظ ان جميع الأبرار تحلّوا بـأعمال البرّ، وان الله نـفـسـه تـحـلّـى بها مسروراً. وبما ان هذا هو نموذجنا، فـلـنـسـرع إلـى الاذعـان لإرادته ولنعمل أعمال البرّ بكل ما أوتينا من قوّة.

ينال العامل الصالح بـثـقـة خـبـز عـمـلـه، ولـكـن الـعـامـل الكسلان، لا يتجرأ على رفع عينيه نحو سيّده.

الـتـعـلّم السلـيـمـة وحفنة من القيم والـوسـائل والمعـايير الـتـعـلـيـمـيـة الناجعة. نحن بحاجة إلى أن نسهر عـلـى تـأمين المنـاهـج المنـاسـبـة لأولادنـا لـكـي نصون لـهـم بـيـئـة تـربـويـة تـبـنـي الـنـفـوس وتـصـقـل الشخصيات.

الإنسـان هـو أثـمـن مـا يصونه الإنجيل ومـا تسـهـر عـلـيه الكنيسة. وما العقيدة والأخلاق إلا منهاجًا لـلارتـقـاء بـالإنـسـانـيـة إلى المحبـة الـنـقـيـة والإيمان الحقـيـقـي وخبرة الانفتاح على الآخرين وسلام القلب والنفس. نحن مدعوون أن نعمل معًا من أجل خير أبنائنا وفرحهم بنعمة الإيمان والسـلام الداخلـي والـفـرح الحقـيـقـي الـتـي هـي عطايا من الله يتلقّفها الإنسان في التربية الصالحة.

القديس سمعان اللاهوتي الحديث

مـنـحت الـكنيسة المقدَّسة لقب «لاهـوتـي» لـثـلاثـة مـن آبـائها فقط لـمـعـوا فـي مـعـايـنـتـهـم لـلـه وفـي خبرتهم المعاشة معه. هؤلاء الآباء الثلاثة هم القديس يوحنا الإنجيلي، التلميذ الذي كان يسوع يحبّه والذي اتكأ على صدره في العشاء؛ القديس غريغوريوس النزينزي (ق ٤) الذي عـايـن بـروح نـقـيَّـة سرَّ الـثـالـوث القدوس مبدعاً في البلاغة في وصف هذا السر وفي معاينة النور الإلهي. ثالثهم هو القديس سمعان اللاهوتي الذي غاص في نور الروح القدس ليشهد للمسيحيَّة الحقَّة إذ إنَّ كلّ مسيحي مدعوٌّ إلى الإستنارة المقدَّسة كما هو مدعوٌّ إلى أن يصير ابناً لله.

وُلد الـقديس سـمـعـان فـي بـلدة غـلاطـيـة فـي آسـيـا الـصـغرى نـهـايـة العام ٩٤٩. أحبَّ منذ صغره الحياة الـرهـبـانـيَّـة، فـالـتـحق وهـو فـي العشرين من عمره بدير الستوديون في القسطنطينية، ثم انتقل إلى دير الـقديس مـامـا حيث استقر. سيم كاهناً عام ٩٨٠ ورئيساً للدير بعد فترة وجيزة من رقاد رئيس الدير. انـكبَّ الـقديس عـلـى إصلاح الدير ورعـايـة رهـبـانـه، فـأعـاد تشييد الأبـنـيـة المهدَّمة وأرجع الإنضباط الرهباني، كما صار أباً روحياً لعدد كـبـيـر من الأشـخـاص خـارج الدير، عائشاً حياةً روحيَّةً حارَّة.

وضـع قديسـنـا عدداً كـبـيراً من الـمـؤلـفـات الـتي أغنت الـكـنـيـسـة والـحـيـاة الـرهـبـانـيَّـة، كـمـا اشتهر بعجائبه ونبوءاته. رقد بالرب في ١٢ آذار ١٠٢٢، لكن بسبب وقوع الصوم الكبير دائماً في هذه الفترة، نقلت الكنيسة عيده إلى ١٢ تشرين الأول مـن كـلّ عـام. كـتـب الـقديس سـمـعـان مـواعـظ تـعـلـيـميَّة لرهبانه عـلـى عـادة رؤسـاء الأديـار فـي تلك الـفـتـرة، كـمـا وضـع ٢٢٥ مقالة لاهوتية ونُسكيَّة تتناول عدداً من النقاط الرئيسيَّة في التعليم الروحي مقسَّمة إلى ثلاث مجموعات (١٠٠ – ٢٥ – ١٠٠)، إضافة إلى ثلاثة أبـحـاث لاهـوتـيَّـة وخـمـسـة عشر أخـلاقـيَّـة حـول مـعـايـنـة الله، تـأليه الإنسان، اللاهـوى والكمال، أهميَّة الأسـرار الـكـنـسيَّـة. جـاءت مـقـالات الـقـديس سـمـعـان الـحـديث بـقصد إرشـاد الـقـارئ إلـى مـعـايـنـة الـلـه. تـعـرض هـذه الـمـقـالات الـحـيـاة الـروحيَّـة كـخـبـرة شـخصيَّـة إذ ان الـمـعـرفـة الـروحـيـة بـالـنـسـبـة إلـى قديسنا ليست حصيلة دروس معيَّنة إنَّـمـا نـتـيـجـة خـبـرة مـعـاشة. تالياً الـقديس هـو شـاهد لـعـجـائب النعمة التي تتم في النفوس المنزَّهة عن كل عيب.

لقد كان لافتاً أنَّ تعليمه نُسي سريعاً ولم تظهر أفكاره من جديد إلاَّ بعد ثلاثة قرون مع الآباء الهدوئيين

والقديس غريغوريوس بالاماس (١٢٩٩–١٣٥٩)، ومع القديس نيقوديموس الآثوسي (١٧٤٧–١٨٠٧) الذي نشر إحدى مقالاته في الفيلوكاليا، وهو أوَّل من دعاه «اللاهوتي الثالث» بعد الرسول يوحنا الإنجيلي والقديس غريغوريوس النزينزي.

يعلِّم القديس سمعان أنَّ الله قريبٌ وأن ذكر المسيح ينير الذهن، ويفصله عن العالم، فيشترك قدر الإمكان ومنذ الآن بالدهر الآتي. إنَّ ممارسة الوصايا الإلهيَّة وتطبيقها تجعل المؤمن يرتقي من خوف الله إلى محبّته، فيصبح مسكناً للثالوث، عندئذٍ لا تكون هذه المحبّة سوى بداية لشوق أعظم، لهذا يقول: «فإنَّ تلك الحضرة الإلهيَّة لا تعود تترك لحظة راحةٍ واحدة لمَن ينعم بها، إنَّما تدفعه، وكأنَّ ناراً تلتهمه وتفنيه، نحو لهب شوقٍ إلى الألوهة يزداد احتداماً على الدوام».

لبلوغ هذه الغاية، يشدِّد القديس سمعان اللاهوتي الحديث على طرح الإهتمامات الأرضيَّة، لأنَّ «من ازدرى كلَّ شيء وكلَّ غنى بل تجرَّد من الأهواء، لكنه لم يحرّر عيني النفس من الإهتمامات الماديَّة والأفكار الشريرة، لن يعاين يوماً النور العقلي، الذي هو يسوع المسيح ربنا وإلهنا». ثمَّ يجب على المؤمن أن يتأهَّب للموت في سبيل وصايا المسيح حباً به، محتملاً بصبرٍ كلَّ محنةٍ وشقاء، غير طالبٍ مشيئته الخاصة إنَّما مسلّماً ذاته إلى مشيئة الله، وإلى أب روحي يرى المسيح من خلاله، ذاكراً اسم الله من دون انقطاع.

علَّم قديسنا أيضاً أنَّه علينا أن نعتبر جميع المؤمنين شخصاً واحداً ونستعد دوماً لبذل حياتنا بفرح في سبيل القريب. كما شدَّد في تعاليمه على أنَّ الندم وحده يطلق ينابيع الدموع شرط أن يقترن هذا الندم بالتواضع ليصل إلى الفرح الروحي في القلب: «يبقى الندم المُرضي لله هو التواضع ويليه فرح وارتياح لا يوصفان. والتواضع المُرضي لله يلد الرجاء بالخلاص لأنَّه بقدر ما نحسب أنفسنا أول الخطأة من صميم النفس، ينمو الرجاء في القلب ويزهر من جراء الإتضاع الذي يضمن لنا الخلاص».

بحسب قديسنا، إنَّ نقاوة القلب لا تحققها فضيلة واحدة بل كل الفضائل مجتمعة، وإن كانت هذه الفضائل من دون نعمة الروح القدس وملء المعرفة والمعاينة، تصبح تشبه بيتاً من دون سقف، مدركين دائماً أهمية وضرورة قطع مشيئتنا وإحلال مشيئة الله فينا لنصير أبناءه. بعد أن نحقق هذا، يقول القديس سمعان: «سيتحوَّل العذاب الذي في قلبنا إلى فرح وينقلب ينبوعاً يتدفق للحواس دموعاً كنهر لا ينضب وللذهن سلاماً وحلاوةً ورقَّةً لا توصف، وأيضاً قوَّةً وحريَّةً في إتمام وصايا الله من دون عائق».

أهَّلنا الرب الإله أن نعاين نور ضيائه لنسكن في مجده الأزلي ونتمتع بالخيرات الإلهيَّة المعَدّة للذين اختارهم في ملكوته السماوي بشفاعات القديس البار سمعان اللاهوتي الجديد، آمين.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

bl.gro.sotrauq.www

وعليه يجب أن نسرع إلى عمل الخير، لأن من الله يأتي كل شيء. فقد سبق وأنذرنا بذلك: «هوذا السيّد الرب، هوذا جزاؤه معه، يردّ على كل إنسان مثل عمله، (اشعيا ٤٠: ١٠؛ أمثال ٢٤: ١٢). انه يحثنا على أن نؤمن به من كل قلوبنا، وألاّ نمكث عاطلين عن العمل أو غير مكترثين إزاء كل عمل صالح. لنضع فيه مجدنا وثقتنا، ولنخضع لإرادته، ولنعتبر ألوف الملائكة الماثلين أمامه ليُتمّوا إرادته. ويقول الكاتب: «ان ربوات ربواتٍ كانوا يقفون أمامه، وألوف ألوف كانوا يخدمونه ويصرخون: قدوس، قدوس، قدوس، رب الصباؤوت الخليقة كلها مملوءة من مجده» (اشعيا ٦: ٣، دانيال ٧: ١٠، رؤيا ٤: ٨، ٥: ١١) ونحن أيضاً، وقد جمعتنا وحدة الشعور في جسد واحد، نصرخ نحوه بفم واحد وبلا انقطاع، لكي يكون لنا نصيب في مواعيده العظيمة المجيدة.

القديس إقليمس الرومي